

## الأثر الاجتماعي للهجرات الأندلسية إلى إفريقية الحفصية خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي

د. أحمد مسعود عبدالله مسعود \*

### المستخلص:

تعتبر الهجرات الأندلسية خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي إلى إفريقية، من الأحداث المهمة لما لها من أثر وأهمية كبيرة في جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعمرانية، والثقافية. كان للهجرات الأندلسية هذه أكبر الأثر على الحياة الاجتماعية في إفريقية الحفصية لتزامنها مع قيام الدولة الحفصية (625هـ/1227م) في الربع الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي في تعدد وتنوع عناصر سكان إفريقية، وكثرة المؤسسات الاجتماعية، وتنوع العلاقات الاجتماعية، ونقل العادات، والأعراف، والتقاليد الجديدة في الاحتفالات، والأعياد، والمناسبات الدينية والاجتماعية، بالإضافة إلى تنوع المأكّل، والملبس، والمشرب، والطباخ، والتسلية، والبذخ التي لم تشهده إفريقية من قبل، بالإضافة إلى تقوية أواصر الروابط العائلية بين المهاجرين الأندلسيين، وسكان إفريقية الأصليين عن طريق المصاهرة والنسب والجوار.

وسوف يتناول هذا البحث إن شاء الله تعالى الأوضاع السياسية لبلاد الأندلس وبلاد المغرب قبل وخلال العهد الحفصي والصلات التاريخية بين البلدين، ومعركة العقاب وأثرها في سقوط وانهيار الدولة الموحدية وأسباب الهجرات الأندلسية إلى إفريقية وعددها، والأثر الاجتماعي لها في إفريقية خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر للميلاد المتزامنان مع قيام الدولة الحفصية وازدهارها في إفريقية في التركيبة السكانية، والمؤسسات الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية، والعادات والتقاليد الاجتماعية.

**الكلمات المفتاحية:** الأثر الاجتماعي للهجرات، الأندلس، إفريقية، الدولة الحفصية

### Abstract:

The Andalusian migrations during the seventh and eighth centuries AH / the thirteenth and fourteenth centuries AD to Ifriqiya are considered important events because of their great impact and importance in the aspects of political, economic, social, urban and cultural life. These Andalusian migrations had the greatest impact on social life in Hafsids Ifriqiya because they coincided with the establishment of the Hafsids state (625 AH / 1227 AD) in the first quarter of the seventh AH / thirteenth century AD in the multiplicity and diversity of the Ifriqiya population, the large number of social institutions, the diversity of social relations, and the transmission of customs New customs and traditions in celebrations, holidays, and religious and social events, in addition to the diversity of food, clothing, drink, temperament, entertainment, and extravagance that Africa has not witnessed before, in addition to strengthening the bonds of

family ties between Andalusian immigrants and the indigenous people of Ifriqiya through Inter-marriage, lineage and neighborhood.

This research will, God Almighty willing, deal with the political situation in the countries of Andalusia and the countries of the Maghreb before and during the Hafsids era, the historical links between the two countries, the battle of punishment and its impact on the fall and collapse of the Almohad state, the causes and number of Andalusian migrations to Ifriqiya, and their social impact in Ifriqiya during the seventh and eighth centuries AH / third The ten and fourteenth AD coinciding with the establishment and prosperity of the Hafsids state in Ifriqiya in terms of demographics, social institutions, social relations, and social customs and traditions.

**Keywords:** The social impact of migrations, Andalusia, Africa, the Hafsids state

## الأوضاع السياسية لبلاد الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي:

### 1. الصلات التاريخية بين بلاد الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي:

إن التوسع الفنيقي ثم القرطاجي في السواحل الشمالية الأفريقية، والسواحل الجنوبية والجنوبية الشرقية للأندلس عمل على الارتباط والتواصل في القرن الخامس الميلادي بين بلاد الأندلس وبلاد المغرب عندما اضطرت قبائل الوندال الجرمانية إلى النزوح جنوباً باتجاه المغرب تحت ضغط القوط الغربيين (العبادي، 1975، 23، 24).

وزادت قوة تلك العلاقات بين بلاد المغرب والأندلس بفتح الأندلس بوساطة طارق بين زياد سنة (711م/92هـ)، وموسى بن نصير سنة (711م/93هـ)، وعبد العزيز بن موسى بن نصير الذي فتح ما تبقى بدون فتح من مدن الأندلس (ابن القوطية، 1989، 33، 36).

ويربط المؤرخون والجغرافيون المسلمون خلال العصور الوسطى بلاد الأندلس مع بلاد المغرب على اعتبار أن المغرب الإسلامي يشمل شمال أفريقيا، والأندلس، ومصر وجزر غرب البحر المتوسط مثل: صقلية وغيرها، باعتبارها القاعدة السياسية والفكرية للمنطقة المغربية في الفترة الإسلامية الأولى (أبو مصطفى، 1997، 1).

امتزج الفاتحون المسلمون عربياً و أمازيغ بسلطان الأندلس الأصليين، ولعب الفاتحون دوراً مهماً في نمو وازدهار وتطور بلاد الأندلس بجلبهم إليها الكثير من ضرورات الحياة الحضارية المتقدمة، وعاملوا سكانها وفق مبادئ الإسلام، فأصبح الأندلسيون يحتلون مكانة مرموقة بين شعوب العالم جميعاً ممثلين حلقة وصل فعالة بين الشرق والغرب ومداً حضارياً وتاريخياً مهماً وسداً منيعاً لصد هجمات البرابرة الجرمان والنورمان إلى المغرب الإسلامي وجزر البحر الأبيض المتوسط كصقلية وكريت وقبرص (بشتاوي، 2000، 8).

ارتبط الأندلس مع دول المغرب الإسلامي بمصالح مشتركة وخاصة مع الدول المنفصلة عن جسم الخلافة العباسية كالرستميين في تاهرت، والأدارسة في فاس، والأغالبة في إفريقية التي شهدت علاقاتهم معهم بعض التوتر في إفريقية، ولكنها لا تصل للصراع المسلح (كرير ، 2013 ، 24) .

ورغم الاختلاف السياسي في بعض الأحيان كما حدث أيام الأغالبة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلا أن بعض أهل الأندلس انتقلوا إلى إفريقية واندمجوا فيها ومنهم على سبيل المثال لا الحصر محمد بن خيرون المعافري الأندلسي، حيث نزل بالقيروان وبنى مسجد فيها المعروف بمسجد الأبواب الثلاثة(سالم ، 1982 ، 361)، ونزح كثير من الأندلسيين خلال القرن الهجري الأولي السابع الميلادي إلى بلاد المغرب كذلك بسبب القحط والمجاعة والمحن الاقتصادية، أو أحكام التغريب والنفي أو للتدريس وأخذ العلم، وشهدت الأندلس هجرة عكسية، فكانت مدنها مراكز جذب لهجرات أهالي بلاد المغرب الإسلامي في أعقاب فتح المسلمين لها(أبو مصطفى ، د.ت ، 10).

ولقد شكل النشاط الاقتصادي دوراً كبيراً في قيام الرحلة إلى بلاد المغرب وانتقال الكثير من الزراعات والصناعات من الأندلس إلى بلاد المغرب بالإضافة إلى التجارة التي كانت مهنة لسكان بلاد المغرب والأندلس، فكانت مواني بلاد المغرب تستقبل مراكب الأندلسيين ومواني الأندلس تستقبل السفن المغربية وفي ذلك قال الأدريسي : ((ومراكب أهل أشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقطعون عنها إلى ميناء سلاء ويضعون بها أنواع من البضائع، ويقصدون أهل أشبيلية بالزيت الكثير وهو بضاعتهم ويتجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية)) (الادريسي ، 1994 ، 2 / 539).

وخلاصة القول: أن العناصر المغاربية توافدت بكثرة على قرطبة حاضرة الأندلس خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر وابن الحكم والمستنصر والمنصور بن عامر كنتيجة لاعتماد خليفتي الأندلس وحاجبهما المنصور على العناصر المغربية (الامازيغية)، في الجيش الأندلسي والكثير من المناصب الإدارية الأخرى (ابن حيان ، 1953 ، 32).

من خلال ما سبق دراسته يتبين أن الحال في الأندلس كان الغلبة فيه للعناصر القادمة من بلاد المغرب مما فسح المجال إلى قيام الفتنة الامازيغية في أعقاب سقوط الدولة العامرية، فكانت بداية النهاية للاضمحلال والانحلال حتى أنها سارت ممالك الأندلس تباعاً بهزيمة المسلمين في معركة العقاب.

## 2. معركة العقاب سنة (609هـ/1212م) وسقوط المدن الأندلسية:

وقعت معركة العقاب (يوم الأثنين 15 صفر 609هـ/17 يونيو 1212م) وانتهت بتشتيت الجيش الموحي وتلاشي الأمل في تمكن المسلمين من الثبات في ميدان المعركة، وهلك في هذه المعركة الألوف من خيرة محاربي المسلمين وعشرات الألوف من أهل الأندلس(كرير ، 2013 ، 29 . 36 . 38) ومهما يكن من أمر

فإن من هذه المعركة لم تقم للمسلمين في الأندلس قائمة بعدها للجيش المسلمة الموحدية بعد أن اجتمعت عدة أسباب وراءها وهي:

1- تخاذل جيوش المسلمين يقول عبدالواحد المراكشي: ((وأكبر أسباب هذه الهزيمة اختلال قلوب الموحدين، وذلك أنهم كانوا على عهد أبي يوسف يعقوب يأخذون العطاء كل أربعة أشهر، ولا يخل ذلك من امرهم فأبطأ في مدة أبي عبدالله هذا عنهم العطاء خصوصاً في هذه السفارة، فنسبوا ذلك إلى الوزراء، وخرجوا وهم كارهون بلغني عن جماعة منهم أنهم لم يسلوا سيفاً ولا شرعوا رمحاً ولا أخذوا من شيء من أهبة القتال، بل انهزموا لأول حملة الأفرنجة عليهم قاصدين ذلك)) (المراكشي ، 1997 ، 265).

2- إنسحاب الأندلسيين أثناء المعركة بحجة قيام الخليفة بقتل والي قلعة رباح ابن فارس دون التحقيق ومعرفة الأسباب، فتخاذلوا تاركين الجناح الشرقي من الجيش الإسلامي مكشوفاً، فانقض عليهم النصاري وانزلوا بالمسلمين هزيمة فادحة جداً (مؤنس ، 2004 ، 149)

3- مؤيدو الخليفة الناصر ووزيره ابن سعيد بن جامع هذا الرجل الكثير الدسائس والبغض للزعماء الموحدين والأندلسيين ويعتبر من الذين ساهموا في إيجاد الحالة السيئة التي عاشتها بلاد المغرب والأندلس في تلك الفترة، ويذكر ابن عذاري ((أن بعض وزرائه أغرو به من سمعه لأنهم خافوا منه أن يقتلهم بما جنوا منهم جزاء على قبح أعمالهم)) (المراكشي ، 1985 ، 265).

وهكذا كانت معركة العقاب بداية انهيار الدولة الإسلامية في الأندلس فما انتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إلا وأصبحت أغلب المدن الأندلسية تحت سيطرة الإسبان النصاري، ولم يبق للمسلمين إلا الجزء الجنوبي من الأندلس الذي عاصمته غرناطة، والذي أسس فيه ابن الأحمر دولته مملكة غرناطة التي كان لها دورها في حماية المسلمين في الأندلس، وظلت غرناطة ترعى مصالح مسلمي الأندلس في كافة ربوعه وحضي المسلمون فيها بالتمتع بالحياة والعيش في رغد هناك ويسر، أسوة بما لقيه إخوانهم المهاجرين إلى بلاد شمال أفريقيا حيث شكلوا فئة مهمة واستلموا أعلى المناصب في بلدانها (كزير ، 2013 ، 119 . 120)، سنة (635هـ/1238م).

أما أوضاع بلاد المغرب فقد شهدت فيها الدولة الموحدية الفوضى والاضطراب والانفصال لأجزاء كبيرة منها فلم يمض إلا فترة وجيزة حتى سقطت، وتوارثتها ثلاث قوى في بلاد المغرب هم بنو مرين في فاس (المغرب الأقصى) وبنو عبدالوادي في المغرب الأوسط (تلمسان) وبنو حفص في المغرب الأدنى (إفريقية).

## 3-إنهيار دولة الموحدين في بلاد المغرب وبلاد الأندلس:

موقعة العقاب كانت وبالاً على عامة المسلمين وخاصة على بلاد المغرب والأندلس انها شكلت مرحلة تحول كبرى في التاريخ، وكانت سبباً في وفاة السلطان الموحي الناصر بالله لأغتمامه من أجلها (المراكشي ، 1985 ، 265).

وبدأ نجم الموحدين في الأفول وضعفت سيطرتهم على أراضي دولتهم الواسعة في المغرب والأندلس، فأهل الأندلس خلعوا طاعتهم للموحدين، وبقي نفوذهم في الأندلس مقتصرًا على أماكن صغيرة عليها حاميات ضعيفة، فأخذت الأمور تسير من سيء إلى أسوأ، والقواعد تخرج من أيديهم الواحدة بعد الأخرى، وقام عنهم بالأندلس الأمير المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي سنة (629هـ/1231م)، ثم قام عليه أحد رجال بن نصر فأقاموا ملكاً كبيراً وكان أول ملوكهم محمد بن يوسف بن الأحمر (المكناسي، 1965 ، 172).

وفي سنة (629هـ/1231م) قام محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر في أرجونة ومد نفوذه إلى المناطق الجنوبية في بلاد الأندلس وأخذ غرناطة مقراً له وحاضرة ملكه الجديد (مجهول ، 1972 ، 57).

تقلص نفوذ الموحدين في الأندلس نتيجة لضعف الموحدين وتناحر عناصرها، والانقسام الداخلي، وضعف الممالك المسيحية النصرانية على المدن الأندلسية لطردهم من أسبانيا نهائياً ومنذ هزيمة العقاب لم يتحرك الموحدون تجاه الأندلس لانشغالهم بمشاكلهم الداخلية، وحاول بعض سلاطين الموحدين عقد معاهدات صلح ومهادنة مع النصارى الأسبان لحماية ممتلكاتهم ولكنهم لم يتمكنوا من المحافظة على وحدة أرضهم.

ولم يمض الربع الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي حتى لم يكن هناك وجود للموحدين في الأندلس (كريب ، 2013 ، 44 . 45).

أما بلاد المغرب الإسلامي، فإن الدولة الموحدية بدأ أفول نجمها منذ رجوع الناصر بالله المراكشي بعد هزيمة العقاب، فأصيب بالوهن والانحلال والضعف بسبب ضعف الحكام وصغر سنهم، وظهور العديد من المشاكل المتمثلة في الارتشاء، والاستبداد، واندلاع الفتن الداخلية في بلاد المغرب وانشقاق البيت المالك على نفسه ومحاربة بعضه بعضاً (الزركشي ، 1998 ، 41).

ومن الأسباب التي عملت على انهيار دولة الموحدين في بلاد المغرب قيام يحيى بن غانية\* (المراكشي ، 1994 ، 223 . 227 ) سليل المرابطين بمحاربتهم، ومحاولته لبسط سيطرته على بعض مناطق إفريقية، وكلما تعرض لهجوم يلتجئ إلى الصحراء ولم يقم الخليفة المستنصر بأي عمل حيال هذا الموضوع، وكان

\* ثورة ابن غانية: هما أخوان يعرفان باسم بني غانية أسم أحدهما يحيى والآخر محمد من قبيلة مسوفة وغانية

همه جمع الحيوانات وتربيتها حتى يقال عنه بأنه كان سبب وفاته من طعنة بقرة شرود في صدره سنة (620هـ/1223م) (الزركشي ، 1998 ، 44).

واستمر الحال على هذا المنوال من التردّي والإهمال والفوضى وسير من سيء إلى أسوأ حتى تولى الخليفة أبوغلاء أدريس، المؤمن بن يعقوب المنصور سنة (629هـ/1231م)، الذي أمر بزوال أسم المهدي من السكه والخطبة، وجميع رسوم الموحدين المعمول بها في سائر دولتهم (كزير ، 2013 ، 46).

ادى هذا الأمر المتردي قبل سقوط دولة الموحدين بعشرين سنة إلى ظهور ثلاثة قوى عظمى في بلاد المغرب الإسلامي انفصلت عن الدولة الموحدية، ووارثة لها في بلاد المغرب وهي:

- 1- بنو حفص في بلاد المغرب الأدنى (إفريقية) (625-981هـ/1227-1573م).
- 2- بنو زيان في بلاد المغرب الأوسط (تلمسان) (637-992هـ/1239-1557م).
- 3- بنو مرين في بلاد المغرب الأقصى (مراكش) (668-896هـ/1269-1490م).

وما يهمننا في هذا البحث هو بنو حفص فلا بد من توضيح كيفية اعتلائهم العرش والوصول للسلطة والانفصال عن الدولة الموحدية التي أصابها الوهن والضعف ولم يكن لخلافاتهم السلطة والقوة الكاملة لإقرار النظام في إمبراطوريتهم الواسعة بشيء من الإختصار.

أمهما وأشتهر أحدهما أكثر من الآخر فأطلق على ثورتيهما أسم ثورة ابن غانية، وهما من بقايا المرابطين قامت ثورتهم على أسس فكرية وعقائدية مناهضة للأصول العقائدية والفكرية للموحدين، والتزمت بأصول منهج أهل السنة والجماعة، وأعلنت أنتمائها وولائها للخلافة العباسية السنية، ورفعت شعاراتها، وحاربت بكل ما تملك من قوة نفوذ الموحدين، واستمرت لمدة خمسة عقود متتالية من الزمن، فكانت تلك الحروب الطاحنة من الأسباب المباشرة في ضعف دولة الموحدين، ومن بعد في سقوطها (المراكشي. 1994. 224-225-227).

### دولة بني حفص في أفريقية:

جد الحفصيين أبو حفص عمر يحيى الهنتاتي من قبيلة المصامدة ومن أكبر أصحاب الخليفة المهدي بن تومرت بعده عبدالمؤمن بن علي وله دور في دولة الموحدين، فلقب بالشيخ أبي حفص، وكان من العشرة الذين قامت عليهم الدولة الموحدية ولم يخرج هذا الدور من العائلة الحفصية طيلة حكم الموحدين (برنشفيك، 1988: 40 . 41).

ومنذ تولى الناصر بالله الخلافة سنة (595-610هـ/1198-1213م)، نقل نشاطه إلى تونس للقضاء على المشاكل الداخلية وفي مقدمتها ثورة ابن غانية واستطاع بفضل قائده عبدالواحد بن حفص الانتصار

على ابن غانية في تاجرا\* (الحميري، د. ت: 125) سنة (602هـ/1206م)، والاستيلاء على عساكره (الزركشي، 2013: 69).

وعند رجوع الناصر إلى مراکش ترك قائد جيشه عبدالواحد بن حفص في إفريقية بعد قبوله لتلك المهمة بإصرار الخليفة الناصر عليه(ابن الشماخ ، 1998 : 19)، ودخل ابن حفص القصبه في(15شوال603هـ/1206م)، وظل والياً على البلاد حتى وفاته سنة (618هـ/1220م)، وتولى بعده ابنه عبدالرحمن أبوزيد وتم عزله من سلطان الموحدين المستنصر بعد ثلاثة أشهر لسيرته السيئة على الناس(الزركشي ، 1998 ، 65)، وعين بدلاً عنه أبا يعقوب بن عبد المؤمن ولكنه لم يستمر طويلاً، وسرعان ما عادت السلطة في إفريقية لبني حفص، وتم تعيين عبدالله بن عبدالواحد سنة(623هـ/1226م)، وولي أخاه أبا زكريا قابس وأخاه إبراهيم إسحاق بلاد الجريد وعند تولية أبي زكرياء أسقط اسم السلطان الموحي من الخطبة(كريب ، 2013 : 50).

وبدأت الدولة إمارة مستقلة وخاصة بعد البيعة الثانية سنة(634هـ/1237م)، ووصول البيعة لأبي زكرياء من كافة أقطار بلاد المغرب وبلاد الأندلس (برنشفيك، 1988 : 1 / 45 . 49).

إن السبب الرئيسي في استقلال الحفصيين عن الموحيين مرده إلى الآتي:

- 1- إنكار الخليفة الموحي المأمون لعقائد المهدي بن تومرت ومبادئه.
- 2- رغبة الحفصيين في تأسيس إمارة مستقلة عن الموحيين في بلاد إفريقية بعد القضاء على ابن غانية (كريب ، 2013: 51).

وخلاصة القول أن الدولة الحفصية في إفريقية شهدت تطوراً كبيراً باهتمام أبي زكرياء بها منذ قيامها، فوسع حدودها، فستولى على قسنطينة وبجاية غرباً وولي العمال من قبله وجعلهم من قرابته، وعين الوزراء والحكام عن الأقاليم وعلى رأس كل واحد منهم والٍ أو عامل يعتمد على مشائخ البلد واعتماد الأمراء كذلك تعيين الولاة من أقاربهم (الزركشي، 1998: 40، برنشفيك، 1988: 1/ 49 . 50).

ب وفاة أبي زكرياء سنة(647هـ/1249م)، ترك ابنه المستنصر خليفة له سنة(647-675هـ/1249-1277م)، فحافظ عليها وأعلن نفسه الخليفة الشرعي في العالم الإسلامي فدعى له على منابر مساجد المغرب والأندلس وأعترف به بنو مرين (ابن الشماخ، 1984: 67).

\* تاجرا: موضع في تونس بقع بين قابس ومدنين ببلاد إفريقية وحدثت الموقعة بين أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص وبين يحيى بن أسحاق الميورقي أيام الموحيين وكان النصر حليف الموحيين بقيادة أبي محمد عبد الواحد ابن أبي حفص.

ومن خلال ما سبق دراسته للدولة الحفصية تبين أن الدولة أصبحت تمثل وجهة العالم الإسلامي وخاصة بعد سقوط بغداد عاصمة الدولة العباسية على يد المغول سنة (656هـ/1258م). وهكذا شهدت الدولة الحفصية تقدماً كبيراً في جميع الجوانب الحضارية، وسيطرت على أغلب وأهم أراضي دولة الموحدين ببلاد الغرب، وكانت مدينة تونس عاصمة لها.

إن دولة الموحدين لم تقم طويلاً بعد هزيمتها في معركة العقاب وورثتها ثلاث دول في بلاد المغرب الإسلامي كما ذكر سابقاً كان لها نصرة وحماية لمسلمي الأندلس الذين أخذت مدنها تتساقط، فلم يبق لهم إلا الهجرة إلى بلدان المغرب أو اللجوء إلى مملكة غرناطة التي أصبحت تمثل الإسلام في الأندلس، وما يهمنا هنا هو قدوم هذه الهجرات إلى إفريقيا وأثرها الاجتماعي عليها خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي المتزامنان مع قيام الدولة الحفصية.

### المبحث الأول: الهجرات الأندلسية إلى إفريقيا: أسباب الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا:

توجد عدة أسباب للهجرة الأندلسية إلى إفريقيا نذكرها فيما يلي:

#### 1- حركة الاسترداد المسيحي:

في الأندلس من أقوى الدوافع للهجرة الأندلسية إلى إفريقيا بصفه خاصه وبلدان المغرب بصفه عامه، فقد تزامن مع تأسيس دولة الحفصيين مع سقوط أهم حواضر الأندلس، بداية من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي في أيدي النصارى وبعد هزيمة الموحدين في معركة العقاب اندفعت حركة الاسترداد لحواضر الأندلس، مما جعل أهل الأندلس واليهود يخرجون من عدوة الأندلس ويهاجرون إلى عدوة المغرب الإسلامي (التلمساني، 1949، ج4، 147)

2- الأستقرار النسبي وازدهار إفريقيا في العهد الحفصي وخاصة في عهد الأمير أبي زكرياء يحيى وابنه المنتصر وأبنائه من بعده بترتيب دولتهم، ومحبة الناس لهم والإحسان إليهم وظلت هذه الدولة على التمدن والقوة فترة طويلة من الزمن مما جعل مدن الأندلس تعلن تبعيتها للدولة الحفصية وترسل ولاتها إلى أمراءها (كريب، 2013: 87 - 88).

#### 3- الصلات الطيبة بين الأسرة الحفصية وأهل الأندلس:

ارتبط الحفصيون بعلاقات طيبة ومتينة مع أهل الأندلس منذ العهد الموحي حيث كان الشيخ أبو حفص من أصحاب المهدي بن تومرت له روابط وصلات قوية وطيبة مع أهل الأندلس لتعيينه والياً على أشبيلية وغرب الأندلس أيام الموحدين وبعد وفاته سنة (571هـ/1175م) تولى أبناؤه الإمارة لبعض ولايات الأندلس (برنشفيك، 1988 : 50/1)، وكذلك كان لأبناء حفص دور كبير في حفظ الأمن في الأندلس،

والانتصار في معركة الأرك، سنة (591هـ/1195م) فكان أحد أبطالها محمد بن عبدالواحد الحفصي (604-618هـ/1206-1221م)، والمصاهرة والنسب وحسن الجوار، والخلاصة أنه كان لهذه العلاقات الحسنة قبل قيام الدولة الحفصية دور رئيسي بارز في اختيار هجرة أهل الأندلس إلى إفريقية الحفصية خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي (كرير، 2013 : 89 . 90).

#### 4-الانهيار الديموغرافي في إفريقية:

شهدت إفريقية انهياراً ديموغرافياً وخاصة في مدينة تونس فكان المهاجرون من الأندلس يجدون مجالاً واسعاً لإشباع رغباتهم واستثمار مواهبهم في الزراعة والصناعة والتجارة والثقافة لذلك أصبحت إفريقية منطقة جذب للمهاجرين الأندلسيين وخاصة أيام الأميرين أبي زكرياء وابنه المنتصر (رزوق، 1986 : 126).

#### 5-موقع مدينة تونس بخاصة وإفريقية بعامة:

مكنها موقعها أن تكون أرضاً للمسلمين المطرودين من الأندلس لقرىها منها ومن الشرق، ومركز عبور للراغبين في أداء فريضة الحج والرجوع منه ومواصلة الدراسة والعمل بالزراعة والصناعة والتجارة والاستقرار بها (كرير، 2013 : 90 . 91 ، عبد الله ، 2007 : 105 . 107).

#### 6-المصاهرة والنسب بين أهل الأندلس وأهل تونس:

عملت المصاهرة بين الطرفين دوراً كبيراً في قدوم المهاجرين الأندلسيين إلى إفريقية (تونس) والدليل على ذلك النسب والمصاهرة أن أمراء الخلفاء الحفصيين متزوجون جواري أسبانية ولقد استمرت المصاهرة والنسب التي كانت قديمة بين أهل إفريقية وبلاد المغرب والأندلس التي ترجع جذورها إلى أيام الفتح العربي الإسلامي واستمرت حتى أيام الموحدين والحفصيين وهذا دافع للأندلسيين للمهاجرة إلى إفريقية (كرير ، 2013 : 91).

#### 7-الحياة العلمية المتقدمة في إفريقية:

كثرت المؤسسات العلمية بإفريقية خلال العهد الحفصي جذبت علماء الأندلس من القدم وازدادت جذباً أيام الحفصيين، حيث امتهن بعض الأندلسيين مهنة التدريس فيها وكانت من أهم هذه المدارس المدرسة الشماعية التي أسسها أبو زكرياء يحيى الحفصي سنة (629هـ/1231م) (ابن الشماخ، 1989: 56) وغيرها من المدارس الأخرى الذي أسستها الدولة الحفصية عن طرق أمرائها وأميراتها وأهل الخير والصلاح في تونس.

جميع الأسباب السابقة، كانت وراء تدفق ونزوح الأندلسيين فرادى وجماعات إلى إفريقية خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي المتزامنين مع قيام الدولة الحفصية في إفريقية وانتشار الأمن والرخاء والازدهار والاطمئنان وذلك بالاستقرار السياسي والازدهار الاجتماعي والاقتصادي والثقافي في إفريقية، وخاصة مدينة تونس العاصمة، وحاضرة السلطان الحفصي، فاستقروا فيها وشعروا بالراحة والأمن

والاطمئنان والنعيم، وهكذا ساهمت تلك العوامل التي تم ذكرها مجتمعة في تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين إلى عاصمة الحفصيين تونس، ويشير ابن حازم القرطاجني إلى ذلك في قصيدة طويلة يقول مطلعها: فتونس تؤنس الأبصار رؤيتها وتمنح الاسم والأسماء واللامما (الخوجة، 1970 : 130). وتم تقسيم هذه الهجرات إلى ثلاثة أقسام وهي:

1- هجرة شرق الأندلس.

2- هجرة غرب الأندلس.

3- الهجرة الغرناطية.

### مراحل الهجرات الأندلسية إلى إفريقية:

يعود وجود الأندلسيين المهاجرين بإفريقية إلى ما قبل العهد الحفصي بكثير حيث يقول البكري: بأن (مدينة بجاية أولية أهلة عامرة بأهل الأندلس)) (البكري، 1992 : 757/2). زحف الإسبان على بلاد الأندلس قبل معركة العقاب سنة (609هـ/1212م) جعل المسلمين بالأندلس يفقدون مقومات القوة لمواجهة الخطر الإسباني الواهم، ممّا جعل الفقهاء المسلمين يدعون إلى الهجرة من الأندلس بدلاً من الدعوة إلى مقاومة الإسبان، وخير مثال على ذلك ما قاله الشاعر الطليطلي ابن العسال في قصيدته بعد سقوط طليطلة التي يقول مطلعها:

شدوا رواحلكم يا أهل أندلس فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط (المقري، 1988 : 5 / 352).

أما الهجرات الأندلسية إلى إفريقية خلال العهد الحفصي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي والمتزامنة مع قيام الدولة الحفصية وازدهارها فقد استمرت إلى سقوط غرناطة سنة (897هـ/1492م) وبعدها، وقد بلغت هذه الهجرات ذروتها في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وكانت في بعض الأحيان بلغت أقوام بأجمعها، وانقسمت إلى ثلاثة أقسام هي:

### 1- هجرة شرق الأندلس:

بقيام الدولة الحفصية في إفريقية، وسقوط إمارات شرق الأندلس في يد الأسبان المسيحيين اتجهت الهجرة من شرق الأندلس إلى تونس بإفريقية، خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، فرحب بهذه الهجرة الأمير الحفصي الأول أبوزكرياء يحيى بن عبدالواحد الحفصي، وكانت هذه الهجرة من أفضل العائلات الأندلسية لكون معظمها من أفضل العلماء والأدباء الذين شغلوا مناصب مهمة في دولة الأندلس، وكان من بين هؤلاء ابن الأبار البلسني، وابن عصفور، وحازم القرطاجني وبنو طاهر المورسيون وبنو عقاب الشاطبيون، وغيرهم كثيرون، وقد تحدث العلامة ابن خلدون في كتابه الجزء السادس في كثير من الصفحات

المتفرقة عن هذه الهجرة الأندلسية وأهميتها الاجتماعية (ابن خلدون ، 1992 : 6 / 339 ، كرير ، 2013 ، : 94).

وقد استقر معظم المهاجرين الأندلسيين بالعاصمة الحفصية تونس، في حارات وحومات عرفت بأسمائهم مثل: حومة الأندلسيين وزقاق الأندلسيين (عبد الوهاب ، 2001 : 91)

كان معظم المهاجرين الأندلسيين إلى إفريقية من صفوة المجتمع الأندلسي وينتمون إلى أعرق البيوت في الأندلس، ويذكر برنشفيك ((أن مسلمي إسبانيا الفارين من غزو النصارى، قد توافدوا على سواحل إفريقيا الشمالية في مجموعات من الحرفيين والأدباء حاملين معهم عناصر حضارة راقية)) (برنشفيك، 1988: 1/67).

إن المهاجرين الأندلسيين إلى إفريقية لم تتوقف هجرتهم خلال العهد الحفصي من بدايته إلى نهايته، ولم تكن هجرتهم مقتصرة على مدينة تونس عاصمة الدولة الحفصية وحدها بل عمت معظم مدن إفريقية (عامر، د. ت: 43).

إن مدينة بجاية بإفريقية تعتبر المدينة الثانية بعد مدينة تونس العاصمة محطة للمهاجرين الأندلسيين، حيث أصبحوا يمثلون نسبة كبيرة من سكانها لنزولهم بها فرادى وجماعات، فكانوا على جانب كبير من الأهمية لاحتفاظهم بكيانهم الأندلسي الحفصي الخالص رافضين الاندماج مع عناصر بجاية المحليين ساكنين احياء خاصة بهم في بجاية (سعدوني، 2003: 224).

ومن العوامل التي ساعدت على توجه الهجرة الأندلسية إلى بجاية هي: موقعها الممتاز، وخصوبة تربتها، واعتدال مناخها، وتشابهه مع مناخ الأندلس، واتصالها الدائم بسواحل الأندلس بتجاه السفن إليها من مواني طرطوشة، وبلنسية، والمرية، وقرطاجنة، فلذلك أصبحت بجاية المحطة الأولى للأندلسيين المهاجرين إلى إفريقية، بالإضافة إلى أن بجاية كانت مركزاً حضارياً راقياً، وقاعدة للسلطة المركزية أيام الحماديين والموحدين والحفصيين (سعدوني، 2003: 102).

حط المهاجرون الأندلسيون رحالهم بمدينة القيروان خلال القرن السابع والثامن الهجري الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، وبنوا بها روض اندلسي، وكان أندلسياً صالحاً يدعى أبو الحسن الجياني قد توفي بالقيروان سنة (687هـ/1288م) في بيت يسمى بيت ابن رحمون، وعرف الروض المحيط بهذا البيت بروض ابن رحمون، ويبدو من خلال ذلك أن أسم هذا الرجل الصالح وأسم البيت الذي يسمى بيت ابن رحمون واسم الروض بروض ابن رحمون بأنها أسماء أندلسية خالصة (الدباغ، 1993: 4 / 121).

واتجه مجموعة من مهاجري شرق الأندلس إلى بلاد الجريد (الميزوري، 1996: 86)، وكذلك أخذت معظم مدن شرق إفريقية نصيبها الكبير من هجرات شرق الأندلس، فبعضها اتجه إلى طرابلس الغرب وإن

كان نصيبها من المهاجرين الأندلسيين أقل من جارتها تونس، وذلك لبعدها الجغرافي عن الأندلس (العياشي، 1998: 100)، وتوجد بتاجوراء أسرة تسمى أسرة طشانة، ويبدو أن هذه الأسرة من الأسر الأندلسية التي هاجرت إلى طرابلس الغرب المعقل الشرقي للدولة الحفصية لوجود إقليم طشانة بالأراضي الإشبيلية ببلاد الأندلس (الزاوي، 1961: 48).

ويذكر أن أسرة الإمام أبي عبيد الله الخروبي وأسرة بني الخطاب المشهورتان في طرابلس الغرب من الأسر الأندلسية التي قدمت إلى الشمال الإفريقي خلال الهجرة الأندلسية واستقرتا بطرابلس الغرب (رفيدة، 1995: 134)، وأسرة الفطيسي المتواجدة بمدينة زليتن شرق مدينة طرابلس الغرب حيث يرجع أصل هذه الأسرة إلى الأسر الأندلسية المهاجرة من الأندلس إلى طرابلس الغرب خلال المحنة التي أصيبت ومرت بها الأندلس (الزاوي، 1961: 122 . 123).

من خلال ما سبق دراسته في هذا البحث يتبين أن هجرات شرق الأندلس إلى إفريقية كانت لها نتائج مهمة وهي التأثير والتأثر في جميع الجوانب الحضارية وخاصة الاجتماعية منها والتي هي موضوع بحثنا هذا.

## 2- هجرة غرب الأندلس:

تمثلت هذه الهجرة إلى إفريقية في أهالي الأندلس التي كانت عاصمتهم إشبيلية، وكان استقبال أهالي إفريقية لهجرة غرب الأندلس كبير، وخاصة الأمير الحفصي الأول أبو زكرياء يحيى وابنه المستنصر من بعده، وذكر ذلك ابن خلدون في كتابه الجزء السادس بأنه ((كانت لأهل إشبيلية حضوراً من بين الأندلس، صلة بالأمير أبي زكرياء بن عبدالواحد بن أبي حفص ، منذ ولاية غرب الأندلس)) (ابن خلدون ، 6 / 345 . 346 ، كريب 2013 : 94)، ومرد ذلك إلى الصلات القديمة التي تربط آل حفص بأهالي إشبيلية في غرب الأندلس، حيث حكم أيام الموحدين ببلاد الأندلس.

وكانت أسرة بني خلدون تمثل غرب الأندلس حيث كانوا ينحدرون من أسرة عربية قديمة أصلها من حضر موت استقرت بالأندلس أيام الفتح العربي الإسلامي للأندلس، وكانت أسرة ابن خلدون من أبرز وأهم وأفضل الأسر العربية في إشبيلية، وعندما عجز المسلمون بالأندلس عن دفع خطر الأسبان عنهم، وأصبح الأسبان على وشك الاستيلاء على معظم مدن الأندلس قرر بنو خلدون مغادرة بلاد الأندلس والهجرة إلى بلاد المغرب العربي الإسلامي، فنزلوا أولاً بمدينة سبتة ببلاد المغرب سنة (630هـ/1232م)، ومن بعد أنتقل جدهم الحسن بن خلدون إلى إفريقية ببلاد المغرب سنة (641هـ/1243م) (ابن خلدون ، 1992 : 345/6 . 346 ، كريب ، 2013 : 94).

وخلاصة القول: أن هجرة غرب الأندلس وفدت على مدينة تونس بإفريقية وغيرها من مدن إفريقية الأخرى خلال العهد الحفصي أي بعد سقوط قاعدة غرب الأندلس مدينة إشبيلية سنة (646هـ/1248م) ومرد ذلك إلى

العلاقة الوطيدة التي كانت تربط أهل إشبيلية وأمراء بني حفص منذ القدم مع تونس، وبذلك تكون هذه الهجرة من أهم الهجرات الأندلسية إلى إفريقية، والتي كان من أهم بيوتها بنو خلدون، وبنو سيد الناس اليعمري، وابن عصفور، وأبي المطرف بن عميرة وغيرهم من العلماء والمتقنين وأصحاب الصنائع والحرف (ابن خلدون ، 1992 : 348 . 348 ، كير ، 2013 : 94).

من خلال ما تقدم عرضه عن هجرة غرب الأندلس إلى إفريقية الحفصية واهتمام أمراء بني حفص بهذه الهجرة اهتماماً كبيراً ومساهمة هذه الهجرة في جميع مظاهر الحضارة، وخاصة الاجتماعي منها لأن هذه الهجرة في الأساس دون غيرها من الهجرات كانت توجهها إلى إفريقية دون غيرها يرجع للعلاقة الحسنة بين الحفصيين وهؤلاء المهاجرين من غرب الأندلس منذ القدم ولو لم يكن ذلك ما اتجهت هجرت غرب الأندلس إلى إفريقية الحفصية ولا اهتم بهم أمراء بني حفص هذا الاهتمام الكبير، والذي أدى بالتالي إلى ازدهار الحياة الاجتماعية بإفريقية خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي.

### 3- الهجرة الغرناطية:

اتجهت هذه الهجرة الأندلسية إلى تونس بإفريقية سنة (897هـ/1492م)، بعد سقوط مدينة غرناطة في يد الأسبان، سنة 897هـ/1492م ولم تمض سنة واحدة على هذه الهجرة إلى إفريقية حتى بلغ عدد المهاجرين الأندلسيين ثمانية آلاف مهاجر أندلسي تقريباً، وكانت هذه الهجرة تجمع طبقات وفئات اجتماعية وعلمية وثقافية مختلفة، وغير منظمة، عند مقارنتها بهجرات شرق الأندلس وهجرات غرب الأندلس التي سبقتها إلى إفريقية الحفصية، وكانت هذه الهجرات تظم الفلاح والحرفي والصانع والعالم، وكل من دفعته الحاجة والظرف للهجرة للحصول على العيش الكريم في أي بلد عربي إسلامي بعد أن ضاقت بهم السبل والدنيا بما رحبت في بلادهم الأندلس، وعلى العموم أن الهجرات الأندلسية إلى إفريقية اتجهت معظمها إلى تونس عاصمة الدولة الحفصية ومقر السلطان في تلك الأيام، فنتجت عنها مشكلة للدولة الحفصية، فصنفت هذه الهجرات في مجملها إلى ثلاثة أصناف، أو أنواع وزعتها الدولة الحفصية على ثلاث جهات في البلاد التونسية على النحو الآتي:

#### الصنف الأول:

كان يعيش في المدن من المهاجرين من فئة العلماء، والموظفين، والأغنياء استقروا جميعهم بمدينة تونس العاصمة، وخصت لهم أحياء خاصة بهم سميت بأسمائهم كحومة الأندلس وباب الجديد وباب سويقه بالقرب من الحلفاويين وزقاق الأندلس وغيرها (عبد الوهاب، 1971: 265).

**الصف الثاني:**

يضم العمال، وصغار الصناع، والمزارعين، والعمارة، فكانوا في المدن الكبرى كالقبروان، وفاقص، وقابس وأسسوا مدن جديدة قرب بنزرت، وعلى ضفاف نهر وادي مجردة قرب نباليه، زغوان، تستور، مجاز الباب، السلوقية إلى غيره من الأحياء الأندلسية الأخرى في تونس وغيرها من المدن الإفريقية.

**الصف الثالث:**

ويضم الفلاحين، والبدو الذين عمروا مناطق البادية بإفريقية الحفصية حيث يقل عدد السكان (أبو سدرية، 2010: 401 . 402).

من خلال ما سبق دراسته للهجرات الأندلسية إلى إفريقية الحفصية خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، يتضح إن هذه الهجرات إلى إفريقية كانت بأعداد كبيرة تعود إلى إحسان السكان، والأمراء إلى هؤلاء المهاجرين، وكما يقال باللهجة العامية تمشي الرجل وبين يحب خاطر وتوفير الأمن بإفريقية أكثر من غيرها من البلدان، والصلوات التي كانت تربط أمراء بني حفص مع سكان الأندلس منذ القدم، وتوفر وسائل العيش بإفريقية أيام الحفصيين وازدهار دولتهم، لذلك اتجه هؤلاء المهاجرون الأندلسيون إلى إفريقية، فكانت لهم تأثيراتهم الاجتماعية الكبيرة في التركيبة السكانية وزيادة العمران والمؤسسات الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد الاجتماعية التي سوف يتم ذكرها إن شاء الله - فيما بعد:

**المبحث الثاني:****أثر الهجرات الأندلسية إلى إفريقية الحفصية في التركيبة السكانية وطبقات المجتمع:**

ظهرت مع بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، عناصر عرقية جديدة ساهمت في ارتفاع عدد السكان في إفريقية تمثلت في قدوم أفواج من المهاجرين الأندلسيين إلى إفريقية، فأصبحت بلاد إفريقية خليط من السكان، وظل العرب والامازيغ أساس السكان حتى بعد قدوم الأندلسيين.

بتدفق الهجرات الأندلسية إلى إفريقية تضاعف عدد السكان، وأصبح المهاجرون الأندلسيون يشكلون عنصراً بشرياً جديداً ساهم بشكل كبير في تطوير الحياة بصفة عامة، وكان المهاجرون يمثلون خليطاً من العناصر البشرية المتداخلة مع بعضها البعض، فمنهم الامازيغ والعرب، والمولدون وأهل الذمة، والعلوج، ولقد عدهم المقري عرباً بقوله: ((وأهل الأندلس عرب في الأنساب، والعزة، والأنفة، وعلو الهمم، وفصاحة الألسن وطيب النفوس، وإباء الضيم وقلة احتمال الذل، والسماحة في أيديهم والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنيا)) (المقري، 1988 : 1 / 151 . 152).

كان للعناصر البشرية الجديدة المهاجرة من الأندلس إلى إفريقيا خلال العهد الحفصي دور كبير في تطوير مناحي الحياة العامة في البلاد، ولقد شهدت الدولة الحفصية عنصراً بشرياً جديداً لأراضيها يتقدمهم العلماء و الأدباء والفقهاء، واستمرت هذه الهجرات في الازدياد والنمو حاملة معها أوضاع، وتقاليد جديدة إلى إفريقيا في العلم والفن والصناعة، وأصبحت تونس حاضرة الحفصيين بفضل المهاجرين الأندلسيين وأم البلاد المغربية بلا منازع فيقول ابن الشماخ في تونس ((وهي اليوم قاعدة البلاد الإفريقية وأم بلادها، وحاضرة السلاطين من الخلفاء الحفصيين، وهاجر إليها أهل الأقطار من الأندلس، والمغرب وغيرها فكثر خلقها، واتسع بشرها ورغب الناس في سكنها وأحدث فيها المباني، والكروم والبساتين حتى بلغ ذلك النهاية، التي لا توجد في غيرها)) (ابن الشماخ ، 1984 : 36).

لقد استطاع المهاجرون الأندلسيون إقامة نظام خاص بهم حفظ لهم عاداتهم وقوميتهم في أغلب مدن بلاد المغرب، وكان لكل جماعة من جماعات الأندلس رأس للجماعة أو زعيم مثل ابن محرز الذي ذكره الغبريني بأنه قرأ بالأندلس وألتقى بعلمائها، وكانت له مكارم وأرتحل عن الأندلس بعد سنة (640هـ/1242م)، إلى بجاية فاستوطنها، وكان معظماً عند أهلها، ومكرماً من الملك فروي عنه الكثير، وقرأ عليه كتب الفقه والحديث واللغة والأدب، وكان رأس الجماعة الأندلسية ببجاية سنة (655هـ/1257م) (الغبريني، 1979: 283).

كانت رأس الجماعة الأندلسية صفة منتشرة في كل بلاد المغرب، وكان رأس الجماعة ببجاية كبير الرؤوس حيث يحكمونه في فصل الخلاف ويرجعون إليه في أمورهم الحياتية، ولقد ظهرت أحياء خاصة بالمهاجرين الأندلسيين داخل أسوار المدن تعرف بزقاق الأندلس وبعض الأرياض خاصة في الحلقاويين مكان حمام الرميبي اليوم، وتوجد إشارات تدل على تواجد المهاجرين الأندلسيين في سوق المركاض، وباب خالد حيث زاوية الجليزي (حسن، 1999: 2 / 589)، وأسسوا حومة بالقرب من جامع القصر بتونس، وحومة الأندلس بمدينة بنزرت (كرير، 2013: 260).

معظم المهاجرين الأندلسيين إلى بلاد المغرب وخاصة إفريقية حافظوا على عصبيتهم وأسمائهم، والتي عادة ما تحمل ألقاباً عربية أو تنتسب إلى مدنهم الأصلية في الأندلس (كرير، 2013: 260 - 261).

أمّا مدينة بجاية فكانت مكتظة بأفواج المهاجرين الأندلسيين إليها وبها خمسة أرياض أو أحياء خارج أسوار المدينة وهي ريبض بجاية وحومة مقرة، وريبط الأندلسيين، وحومة رابطة المنتهى خارج بجاية، وحومة سيدي عيسى بالإضافة إلى ساكني البساتين من الأندلسيين الذين توافدوا خلال الهجرة الأخيرة داخل البساتين الواقعة على الوادي الكبير (برنشفيك ، 1988 : 1 / 417).

كانت بجاية أحد المحطات البحرية المهمة لقدم المهاجرين الأندلسيين إليها فرادي وجماعات حتى كونوا طائفة اندلسية على غاية كبيرة من الأهمية والدليل على ذلك هو أن الأندلسيين القادمين إلى بجاية في القرن

التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، لم يجدوا مكاناً مهماً داخل مدينة بجاية(الغبريني ، 1979 : 171 ، برنشفيك ، 1988 : 1 / 417 ، بعيزيق ، 2006 : 121).

أما مدينة طرابلس الغرب المعقل الشرقي للدولة الحفصية، فكانت عبر القرون الإسلامية الأولى محطة مهمة لرجال الأندلس لأن موقعها جعلها محطة مهمة للحجاج إذ ينزلون بها للراحة، أو الإقامة القصيرة ثم اتخذها بعض الحجاج مقراً لهم خلال الهجرة الأندلسية الأول بعد سقوط مدن الأندلس في أيدي الإسبان رغم أنها كانت أقل جذب للهجرات الأندلسية من تونس وبجاية لعدة أسباب التي من بينها بعد طرابلس عن بلاد الأندلس، وتونس كانت عاصمة للدولة الحفصية ومقر للسلطان(أبو ضيف ، 1992 : 58).

وخلاصة القول إن المهاجرين الأندلسيين أضافوا إلى السكان المحليين في إفريقية عنصراً بشرياً جديداً لعب دوراً مهماً في تطوير السياسة والاقتصاد والمجتمع والثقافة والعمارة والفنون وذلك بتطوير الاقتصاد حيث ساهموا في النهوض بالزراعة عن طريق حفر القنوات وشق الطرق وبناء الجسور كما ساهموا في نشر الفنون والدراسات والأدب والعلوم وتجديدها بالإضافة إلى مشاركتهم في الأمور السياسية في الدولة الحفصية وكان لهم دور في تشكيل الجيش الحفصي وتنظيمه كما شاركوا في الجهاد البحري للاسطول الحفصي (الرجيبي ، 2009 : 157).

لقد أنشأ المهاجرون الأندلسيون العديد من المدن، أو أعادوا بنائها على عاتقهم مثل مدينة(زغوان، وطبرية، ومجاز الباب، والسلوقية، وقريش الوادي، وتستور في البلاد التونسية)، وكان تخطيط هذه المدن وترميمها على الطريقة الإسبانية وحافظوا في هذه المدن على طريقة معيشتهم وعاداتهم ولغتهم، بالإضافة إلى تأسيس بعض المدارس وإصدار كتب بالإسبانية، وجميع هذه المدن والمباني امتازت بالفن المعماري المنسوج على المنوال الإسباني بالإضافة إلى مساحتها الكبيرة، والتي تحتل وسطها ساحات حيث يقام فيها حفل مصارعة الثيران حسب الطريقة الإسبانية، وأن الأندلسيين في هذه المدن متفوقون على العرب والبدو في الميادين الحضارية المختلفة وفي العادات والتقاليد والهيئة واللباس ولهم إتقان في استعمال الزراعة والآلات والطرق وجلبوا معهم صناعة الشاشية من بين صناعاتهم، وحافظوا على لغتهم وعاداتهم وطباعهم(الرجيبي ، 2009 : 157 . 159).

### المبحث الثالث:

#### أثر الهجرات الأندلسية إلى إفريقية الحفصية في المؤسسات الاجتماعية:

إن المؤسسات الثقافية في إفريقية الحفصية المتمثلة في الرُّبَط، الزوايا، والمساجد، والمدارس، والمنترهات، والسبل، والمستشفيات(البيمارستانات) تطورت هذه المؤسسات خلال القرنين السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، حيث اهتمت بها الدولة الحفصية وأولتها عناية، وتأسيساً، وصيانة، وخاصة

بعد قدوم المهاجرين الأندلسيين إلى إفريقيا الذين كان لهم دور كبير في تطوير هذه المؤسسات، وذلك بما أضافه إليها من تقنيات، وأساليب جديدة لهذه المؤسسات، فطوروا الرياضات، والمدارس، والزوايا، والقناطر، والقصور، والفنادق، وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى (الغنيمي، 1994 : 5 / 97).

عند قدوم المهاجرين الأندلسيين إلى إفريقيا وتزايد أعدادهم عمد الأمراء الحفصيون بمساعدة المهاجرين الأندلسيين إلى تأسيس أحياء خاصة بالمهاجرين بعد انعدام المكان المناسب لإقامتهم، فقاموا بتأسيس أرياض جديدة خارج سور مدينة تونس في باب الجزيرة، وباب سوق وأحاطوا هذه الأرياض بسور خارجي يحيط بالريطين، ولم يكتف الأمراء الحفصيون بهذا بل أنشؤوا روض جديد خارج باب البحر خاص بالنصارى الجنوبيين والبنادقة والقطلونيين يحوي رحبات واسعة لتسهيل عملية التجارة بالإضافة إلى إنشاء بعض الفنادق الخاصة بكل الطوائف الأجنبية من المسيحيين (كثير، 2013 : 269 . 270).

كذلك أنشأ المهاجرون الأندلسيون بإفريقية حياً خاصاً بباب الخضراء يشمل المسجد والقصر والسوق والكتاتيب والحمام بين باب سوق وباب الخضراء وسمي هذا الحي بحي الرميحي نسبة إلى حاكم مرسية الرميحي المدفون بضاحية المرسى، وتم إنشاء حي حومة الأندلسيين، وباردو والحلفاويين وزقاق الأندلس، وكانت جميع هذه الأحياء تستقبل العلماء والأدباء والفقهاء القادمين من الأندلس إلى إفريقيا (برنشفيك، 1988 : 168/2).

أسس أمراء بني حفص ومهاجري الأندلس العديد من المدن ذات الطابع الأندلسي مثل مدينة تستور وباجة وسليمان وسيجوم (ابن الشماخ، 1984 : 96).

بالإضافة إلى اهتمام الأمراء الحفصيين ببناء المساجد وترميم القديم منها كان الأندلسيون لهم إسهامات في صيانة وبناء المساجد حيث شيد في كل حي خاص بالأندلسيين جامعاً كان من بناء المهندسين ذي الأصول الأندلسية، ويشهد على ذلك الجامع الإشبيلي بحي سوق البلاط، والميضاة التابعة لجامع الزيتونة في سوق العطارين من الجهة الجنوبية فهي ذات مظهر أندلسي خالص (كثير، 2013 : 271).

أما الرياضات والزوايا، فتعتبر من أهم المؤسسات الاجتماعية تطورت وشهدت تجمع أعداد كبيرة من المرابطين والمنتطوعين من أهل البلاد والمهاجرين الأندلسيين للدفاع عن تونس أيام الحملة الفرنسية على تونس سنة (667هـ/1269م)، وقدمت الزوايا دوراً كبيراً للمهاجرين الأندلسيين بتوفير المسكن اللائق لهم، وتعتبر زاوية أحمد بن عروس بتونس من أكثر الزوايا التي قدمت خدمات للمهاجرين الأندلسيين فاهتم بها المهاجرون الأندلسيون وطبعوها بطابعهم الخاص فشيّدوا زوايا على الطراز الأندلسي منها زاوية الشيخ أبو القاسم الجليزي الذي كان من مهاجري الأندلس، وكان يعمل بصناعة الزليج وزخرفته بتونس (كثير، 2013).

: 272 . 274). انتشرت الحمامات بتونس بكثرة ويبدو ذلك عن توافد المهاجرين الأندلسيين إليها(كرير ، 2013 : 275).

قام مؤسس الدولة الحفصية أبو زكرياء يحيى بتشديد القصور والمعالم وغرس البساتين والكروم، والغالب على الظن أن المهندسين والبناءيين والخشابين كانوا من أهل الأندلس (اندرية ، 1983 : 2 / 189).

وسار محمد المنتصر على منهج والده أبي زكرياء يحيى فبنى قصراً في وسط بحيرة كبيرة المساحة للتنزه وبنيت العديد من القصور الفخمة على الطراز الأندلسي، والكثير من السبل والمنتزهات والحدائق على الطراز الأندلسي أيضاً(ابن الشماخ ، 1984 : 56 . 57 ، 67 . 68)، وتعلق الأندلسيون بالمنتزهات والحدائق حتى جعلوها مقراً لإقامة حفلاتهم حتى عمد الشيخ الحاج التاجر أبو القاسم الغرناطي الأندلسي الذي يعتبر من أكبر التجار في تونس لإقامة الحفل والضيافة في رياض رأس الطابية سنة(1463م/867هـ)، بمناسبة رجوع الحجيج من مكة المكرمة، وكان أغلب الحضور من الأمراء الحفصيين ورجال الدولة والتجار الأندلسيين والأفارقة، ولا شك أن هذا الرجل كان ذا ثروة طائلة ومنزلة اجتماعية رفيعة لوصفه بأنه كبير التجار في مدينة تونس(حسن 1999 : 2 / 589).

إن اهتمام أمراء بني حفص وأهالي البلاد الإفريقية والمهاجرين الأندلسيين لم يقتصر على الاهتمام بالمؤسسات التي سبق ذكرها فقط بل شهدت اهتمامات كبيرة بالميرستانات (المستشفيات). ومرد ذلك إلى أن عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين كانوا من الأطباء والصيادلة، واعتنى كذلك أمراء بني حفص بالمقابر أيضاً وخاصة المقبرة الكبيرة التي تقع بالقرب من زاوية سيدي محرز بن خلف(كرير ، 2013 : 279).

ولقد شهدت العديد من المدن الإفريقية الأخرى العديد من المنشآت الاجتماعية العامة والخاصة، والتي من بينها مدينة بجاية، والتي كان بها دور وزوايا للمتعبدين وحمامات وبيمارستانات، والكثير من الفنادق الفخمة لراحة وإقامة التجار الأوربيين(الوزان ، 1983 : 2 / 56).

أما مدينة طرابلس الغرب فكانت تعتمد على الصهاريج والمواجل الكثيرة المنتشرة في أرجائها لتخزين مياه الأمطار فيها، ونجد بها العديد من الحمامات والمساجد والجوامع الكثيرة والبيمارستانات والفنادق(التيجاني ، د.ت ، 237 . 238).

مما سبق دراسته يتبين إنه كان للهجرات الأندلسية أثر بالغ على المؤسسات الاجتماعية، فتوسع المهاجرون الأندلسيون في إنشاء تلك المؤسسات وترميم القديم منها في بلاد إفريقية جميعاً مما جعلهم يشاركون في الرفع من مستوى جميع المؤسسات الاجتماعية في إفريقية، فعاشوا في هذه البلدان التي احتضنتهم بكل حرية،

فاستقروا بها وزاد اختلاطهم بالسكان المحليين، فكان لهم أثر واضح في العلاقات الاجتماعية بينهم وبين السكان المحليين.

#### المبحث الرابع:

#### أثر الهجرات الأندلسية إلى إفريقية الحفصية في العلاقات الاجتماعية:

كان لوجود المهاجرين الأندلسيين في إفريقية الحفصية علاقات اجتماعية مع أهالي البلاد في المصاهرة، والمجاورة، والاختلاط.

ارتبط السكان المحليون بإفريقية مع المهاجرين الأندلسيين بعلاقات جوار طيبة، فنجدهم يهتمون ويقدمون ويرحبون بهم في كل المدن الإفريقية، فعينوا لهم منذ نزولهم بإفريقية من يطعمهم ويكسيهم ويوفر لهم مكان الإقامة لكي يتمكنوا من ممارسة حياتهم في بلدهم الجديد إفريقية (عزوز ، 1986 : 191).

رغم الود والتعاطف والعلاقات الطيبة بين أهل إفريقية والمهاجرين الأندلسيين إلا أنه كثيراً ما يحدث خلاف بينهما، وبدرجة خاصة بين أصحاب المناصب العليا مثل: ما حدث من نزاع بين البسيطى الأندلسي وابن الحباب الأفريقي نتيجة أن الأول المقرب للأمير انتزع أرض الثاني، واستمر هذا النزاع عشرة سنوات تقريباً (حسن ، 1999 : 2 / 580).

إن الهجرات الأندلسية إلى إفريقية في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، كانت رافضة فكرة المصاهرة مع الأهالي والاندماج والاختلاط بهم لشعورهم بوجود خصائص اجتماعية وحضارية تفضلهم وتميزهم عن سكان إفريقية لأنهم أنتقلوا إلى إفريقية اضطراراً لا اختياراً، وأن أهل إفريقية أقل منهم رقياً وتحضراً وذلك يجب عليهم أن يهتموا بالحصول على المناصب العليا فقط (رزوق ، 1986 : 135).

امتنع المهاجرون الأندلسيون عن مصاهرة الأهالي المحليين ومخالطتهم، واعتبروا أنفسهم في دار هجرة مؤقتة ويحسبون الفرص للعودة إلى بلادهم لدرجة أن أرباب العائلات الكبيرة احتفظوا بمفاتيح منازلهم بالأندلس، وهذا جعلهم لا يميلون إلى الاختلاط والزواج مع السكان المحليين، فلذلك المرأة الأندلسية من النادر أن تتزوج من غير الأندلسي إلا إذا اضطرتها الحاجة أو الظرف أو الفقر إلى ذلك (سعدوني ، 2003 : 34).

لم يتخل الأندلسيون عن هذا التميز إلا في المرحلة الثانية حيث تقلصت الفوارق بينهم وبين الأفارقة فبدأ الانصهار تدريجياً، حتى أن الكثير من أهالي إفريقية تأثروا بالثقافة الأندلسية وتطبع الأندلسيون بالطابع الإفريقي بعد أن وجدوا بيئة مضيافة لهم، ووجدوا الوسيلة لمزاولة كل نشاطاتهم بكل حرية (برنشفيك ، 1988 : 2 / 160).

إن علاقات المصاهرة لم تقتصر على عامة المجتمع فقط بل تزوج الكثير من العلماء والأدباء ورجال الدولة من نساء إفريقية (ابن مريم ، 1908 : 314). وتزوج الأديب والكاتب عبدالله الترجمان (758-832هـ) من إفريقية ورزق منها ولداً سماه محمداً (محفوظ ، 1982 : 1 / 231). ولا تخلوا علاقات الزواج والنسب في بعض الأحيان من خلافات تظهر بين فترة وأخرى وتؤدي في الغالب إلى الطلاق نتيجة لاختلاف الطبائع والأمزجة (كريب ، 2013 : 287).

وقد كان للمهاجرين الأندلسيين تأثيرات اجتماعية لنقلهم لبعض العادات في الزواج من الأندلس إلى إفريقية، فكانت الأدوات النحاسية للزوجة أو الزوج حسب الوسط الاجتماعي الذي كان يتبع العادة الأندلسية وينتقد الآخر بالعرف الجاري به العمل في المدن الإفريقية، وهذا من أبلغ العادات في الزواج التي نقلها المهاجرون الأندلسيون وقد كانوا يرون أنفسهم بأنهم أرقى ثقافياً من أهل البلاد (برنشفيك ، 1988 : 2 / 177).

كان أمراء بني حفص ينفقون ببذخ وسخاء في حفلات زواج أبنائهم فتعقد الولائم وتوزع الأطعمة على أهل تونس وغيرها، وقد يصل صداق أبنائهم في بعض الأحيان إلى اثني عشر ألف دينار ذهباً، بالإضافة إلى ثلاثين خادمة، مولدات، وأعجميات، وكان هذا صداق الأمير أبي إسحاق الثاني الحفصي بابنة الحاجب بن تافرجين واحتفل لذلك غاية الاحتفال ووضع من الطعام ما عم جميع الناس (ابن الشماخ ، 1984 : 105). كان أمراء بني حفص يحبون النساء والجواري وحوضين عندهم بمكانة مرموقة في البلاط الحفصي، وكانت أغلب زوجات الأمراء أمهات أبنائهم من الجواري، وعلى ما يبدو أن هؤلاء الأمراء كانوا يقلدون الأندلس في حبهم للنساء واقتناء الجواري في قصورهم (برنشفيك ، 1988 : 2 / 340).

كان رجال الدولة والتجار والأغنياء والطبقة الثرية ترتفع فيها نسبة تعدد الزوجات نتيجة لسماح ظروفهم المادية لأكثر من واحدة ، ويتخذ البعض الجوّاري مصدراً للرزق للتخصّص في الغناء فوجد من يقتني جارية لكي تغني في الأفراح والمناسبات السعيدة مقابل أجر معروف (أبو مصطفى ، 1997 : 36).

كانت المرأة في العهد الحفصي لم تشهد تطوراً ملحوظاً بسبب المدرسة الفقهية للإمام ابن عرفة وللذين سبقوه تجبر على النساء الخروج لحضور بعض الاجتماعات الدراسية وبعض الجلسات الدينية للدروس، فكانت المرأة في أغلب الأحيان غير متعلمة إلا بعضهن اللاتي يترددن على دار المعلمة ليتعلمن الغزل والخياطة وبعض التعاليم الدينية (برنشفيك ، 1988 : 2 / 178 . 179).

ورغم الحجاب على المرأة وظهورها إلى الحمام ليلاً إلا أنه ظهرت نساء ذات شخصيات مرموقة سواء من أهالي إفريقية أو من أهالي المهاجرين الأندلسيين أو من الجوّاري اللاتي أصبحن زوجات للأمراء وكانت أشهرهن الأميرة عطف أم الأمير المستنصر بالله وهي صاحبة بناء جامع ومدرسة الهواء بالإضافة إلى أخت الأمير أبي بكر صاحبة المدرسة العتيقة (برنشفيك ، 1988 : 2 / 440).

من إفريقية اشتهرت العديد من النساء أمثال زينب التجانية والشاعرة عائشة وسارة الحلبية (برنشفيك ، 1988 : 2 / 179)، ومن أشهر نساء الأندلس في إفريقية السيدة العبدرية أم العلاء واسمها سيدة بن عبد الغني بن علي بن عثمان قدمت من مرسية إلى تونس مع أبيها الذي علمها القرآن والخط والتاريخ وفقاً للعادات الأندلسية المتحررة تجاه النساء وكانت تقيّة كرسّت كل مجهودها لتعليم بناتها وذكر حسن حسني عبد الوهاب أن جميع ما كانت تتقاضاه من أجر تعليمها وما كان ينالها من الجوائز من بني حفص خصصته للفقراء ووفاء أسرى المسلمين من أيدي النصارى (عبد الوهاب ، 1995 : 112).

وهكذا فإن الأندلسيين بمشاركتهم في العلاقات الاجتماعية من أهل البلاد الأصليين في المصاهرة والمجاورة والاختلاط، فلا بد من أن تكن لهم عادات وتقاليد خاصة بهم.

### المبحث الخامس :

#### أثر الهجرات الأندلسية إلى إفريقية الحفصية في العادات والتقاليد الاجتماعية:

مع بداية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وقدم المهاجرين الأندلسيين إلى إفريقية ظهرت في مجتمع إفريقية عادات وتقاليد جديدة وتغيرت بعض الظواهر الاجتماعية، وخاصة بعد هجرة الأندلسيين إلى إفريقية.

أثر الأندلسيون تأثيراً كبيراً في بعض التقاليد الخاصة بالبلاط الحفصي لجلبهم معهم عدة تنظيمات لم تكن موجودة في قصور الموحديين والمرابطين حيث رتبوا وهذبوا قواعد الحكم وترتيب مراسم الملك في البلاط الحفصي، وذلك بوضع التاج فوق رؤوسهم، ووضع العمامة المطرزة بالحريز خلف أذانهم اليسرى، وكان الأمراء الحفصيون يتركون شعورهم مترسلة تحت عمامتهم ويطلق البعض منهم لحيته (ابن القنفذ، 1968 : 157).

لقد قلد أمراء بني حفص سلوك الأندلس في حبهم لمباهج الحياة، وخاصة أثناء خروجهم لأداء صلاة العيدين والسفر والحرب، فكانوا يحاطون بموكب أمير يينظم وفقاً لطريقة معلومة (القلقشندي، د . ت : 5 / 146). رغم العادات والتقاليد الحسنة التي أدخلها المهاجرون الأندلسيون إلى إفريقية إلا أنهم جلبوا الدسائس والمؤامرات إلى البلاط الحفصي (الطالبي، 1975 : 186).

ومن العادات الاجتماعية التي انتقلت إلى بلاد إفريقية عن طريق المهاجرين الأندلسيين إحياء الاحتفالات الدينية والاجتماعية، فتعددت الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف وشهر رمضان والأعياد فأشعلت فيها الثريات والقناديل الكبيرة في جامع الزيتونة وإحياء يوم عاشوراء من قبل أمراء بني حفص وعامة الناس فيقوم فيها الأمراء بإخراج الصدقات والأموال لتوزع على عامة الفقراء والمحتاجين وطلاب العلم ولقد قام بذلك على

سبيل المثال لا الحصر الأمير أبوبكر بن أبي زكريا وحيث تصدق بأموال في أسواق تونس عند رؤية هلال شهر رمضان (كرير ، 2013 : 295).

ولم تقتصر الاحتفالات بهذه المناسبات على الأمراء وكبار رجال الدولة أو في القصور وبلاطات الدولة فقط بل احتفل الأهالي بجميع هذه الأعياد ودخل في أوقات متأخرة في عهد الدولة الحفصية أعياد قادمة من الأندلس مثل عيد النيروز المصادف لليوم الأول من شهر مايو من كل سنة (برنشفيك ، 1988 : 2 / 321). وكان من ضمن الأعياد التي يحتفل بها الأندلسيون هو يوم العنصرة الذي يعتبر عيد الفلاحين المصادف ليوم 24 يونيو من كل عام، وكان الاحتفال بيوم الختان والزفاف وأغلب هذه الاحتفالات لازالت حتى اليوم في إفريقية (كرير ، 2013 : 295 . 296).

لقد أثر الأندلسيون بهجرتهم في لباس أمراء الأندلس في لباس الكبوت الذي يبدو أنه من تصميم الأندلسيين المهاجرين إلى إفريقية (برنشفيك ، 1988 : 2 / 291). نقل الأندلسيون معهم لباس الطيلسان إلى إفريقية، فلذلك كان معظم علماء وقضاة إفريقية من الأندلسيين وغيرهم يلبسونه (كرير ، 2013 : 297) ونقلوا الدرعة للباس في الربيع لنقص أكمامه (كرير ، 2013 : 297).

وخلاصة القول أن الأندلسيين في هجرتهم إلى إفريقية نقلوا معهم أزياءهم وما يتعلق بها من زينة متنوعة إلى إفريقية ونشروه بين سكانها وبقي مع الزمن هذا اللباس محافظاً على صفاته وسماته الأندلسية الخاصة.

أما الطعام الأندلسي فقد انتشر في إفريقية عن طريق المهاجرين الأندلسيين ومن أشهره المجبنة، وهي عبارة عن جبن طري يدعك بالأيدي حتى يصبح كالعجين ومن بعد يعجن بالسמיד عجنًا محكمًا ومدعوكًا جيداً فيصبح كعجين الزلابية وقد ذكر ذلك الرحالة المصري عبدالباسط بن خليل أثناء رحلته إلى إفريقية وتلبيته دعوى لكبير التجار الأندلسيين بتونس أبي القاسم التنبولي، وكانت جميع أصناف الطعام أندلسية بالإضافة إلى المجبنة (الطالبي ، 1975 : 81).

ومن الأكلات الأندلسية الزيتي مثل الكسكسي، وهو خليط من الخبز مع الزعفران واشتهرت العصيدة المصنوعة من الدقيق مع السمن والكسكسي وكان من عادة الأندلسيين أكل لحم الحجل لطيبه ويفضلونه مشوياً (كرير ، 2013 : 298)، ولا زال حتى الآن أهالي تونس وطرابلس والكثير من مدن الساحل يفضلون هذه الأكلات عن غيرها.

وظهرت بعض الأكلات الأندلسية بعد الهجرة الأخيرة في إفريقية مثل: الكيالس والعجة، والبناضج (كرير ، 2013 : 298)، وجميع هذه التسميات أندلسية صرفة.

أما النساء الأفريقيات بصفة عامة والتونسيات بصفة خاصة تعلمن من نساء مهاجري الأندلس تدبير شؤون المنزل، وطريقة إعداد الطعام الأندلسي، وطبخ العديد من أصناف الحلوى مثل: الزلابية التي كانت أكثر الأنواع معرفة عند الأندلسيين، وأساليب تنظيم المأكل والمشرب وكيفية تربية الأطفال تربية جيدة (عامر، د. ت : 87).

كان من عادة الأندلسيين الاهتمام بالنظافة العامة لذلك تشدد المحتسبون في إفريقية بالحرف المتعلقة بالأطعمة والمأكولات والمشروبات ولا يشتغل بها إلا اللائق صحياً، وكانت الحمامات متابعة في نظافتها، واهتم كذلك الأندلسيون بالنظافة الشخصية، فيذكرهم المقري بقوله بأنهم ((بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن منظرهم وجودة قراهم ولطافة أذهانهم وحدة أفكارهم ونفوذ خواطهم)) (المقري، 1988 : 3 / 319).

ومن عادة الأندلسيين حبه للطبيعة والمياه الجارية والنسيم المحمل بالخمائل الغناء لقد استطاع الأندلسيون أن ينقلوا إلى إفريقية الحفصية معظم عاداتهم وصفاتهم التي أتصفوا بها إلى إفريقية، فتأثرت بالحضارة الأندلسية ولم تتغير معظم هذه العادات جيلاً بعد جيل (الطالبي، 1975 : 81).

أحب الأندلسيون الموسيقى فامتحن بعضهم هذا الفن وانتشرت بعض الآلات الموسيقية والأبواق في إفريقية فاستخدم البوق في شهر رمضان لإيقاظ النائم للسحور وجرت هذه العادة في جوامع تونس وطرابلس وأغلب مدن إفريقية (حسن، 1999 : 2 / 601).

كان أهالي الأندلس أصحاب فكاها ونكتة ونقل عدد كبير من الأندلسيين هذه النكت إلى بلاد إفريقية فأصبح عدد منهم للأمرء خليلاً ونديماً (كريب، 2013 : 301).

ورغم حسنات أهل الأندلس الكثيرة إلا أنه يوجد العديد من العادات السيئة التي انتشرت في بلدهم الأندلس ونقلوها معهم إلى إفريقية في هجرتهم إليها وهي ظاهرة حب أهالي الأندلس للغلمان، وظاهرة التخنيث، وظاهرة انتشار البغاء واللواط وظاهرة الاعتداء على الأطفال، واغتصابهم، وتعاطي المواد المخدرة والخمور والبذخ على الجوارح الحسنات (كريب، 2013 : 301 - 302).

ولم تشمل هذه العادات السيئة معظم الأندلسيين بل قدم إلى إفريقية الكثير من الفقهاء والعلماء والأدباء إلى إفريقية يحملون علماً ودينياً وثقافة، وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من عادات سيئة قدم بها المهاجرون الأندلسيون إلى إفريقية قاموا بالشعوذة والسحر (كريب، 2013 : 302).

وخلاصة القول أن العادات والتقاليد الأندلسية لم تقتصر على العاصمة الحفصية تونس فقط بل ظهرت في عدة مدن أخرى من إفريقية، فقد اكتسبت مدينة بجاية طابعاً أندلسياً خاصاً بها حتى عدت من حواضر بلاد الأندلس (سعدوني، 2003 : 36).

أما مدينة طرابلس الغرب، فكان الأندلسيون فيها أقل تواجداً من تونس، ورغم ذلك تركوا تأثيراً بالغاً في الحرف والصناعة واللغة والعادات والتقاليد، وظهرت العديد من المصطلحات ذات المدلول الأندلسي مازالت موجودة حتى الآن مثل: كلمة قطوس (قط)، وبندير (طبل)، وليم (ليمون)، وغيرها الكثير من المفردات الأندلسية الأخرى (أبو راس، 1995 : 506)، وكيفية إعداد الطعام والأتيكيت وصنع العديد من نوعيات الحلويات والنساء نقلن عنهن العادات والصناعات اليدوية، وأساليب تربية الأطفال، بالإضافة إلى أن الأندلسيين كان لهم تأثير واضح على سكان طرابلس الغرب نلاحظه في المؤلف وقرآن بصوت ملحن، وجماعي على القبور والحذاقة والختان واللباس (عامر، د.ت: 87).

مما سبق دراسته يتبين أن نزول الأندلسيين بالسواحل الإفريقية قد سبب في زعزعة السكان إلى جنوب إفريقية وبقت هذه الهجرات منغلقة على نفسها لم تعمل على الانخراط في إفريقية، أو المصاهرة مع سكانها، ولكن هذا لا يعني أن سكان إفريقية لم يؤثروا أو يتأثروا بهؤلاء المهاجرين في جوانب الحياة المختلفة وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن المرأة التونسية قد تأثرت وتعلمت من النساء الأندلسيات تدبير شؤون المنزل، وكيفية إعداد الطعام وغيرها من العادات الأخرى، وعلى العموم إن الهجرات الأندلسية إلى إفريقية الحفصية خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي كان لها أثر في جميع مظاهر الحياة الاجتماعية، فكان لهم أثر في التركيبة الاجتماعية للسكان والمؤسسات الثقافية والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد الاجتماعية حتى اعتبرت إفريقية الحفصية وارثة للحياة الاجتماعية بالأندلس.

**الخلاصة:** استخلاصاً مما تم عرضه في هذا البحث الأثر الاجتماعي للهجرات الأندلسية إلى إفريقية الحفصية خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث عشر والرابع عشر الميلادي يمكن استخلاص النتائج التالية:

- 1- كانت معركة العقاب سنة (603هـ/1212م)، ضربة قاسمة للوجود العربي في الأندلس، وسبب من أسباب انهيار الدولة الموحدية، وانقسام أملاكها في بلاد المغرب بين الدولة الزيانية والمرينية والحفصية وكان لهم الدور الأكبر في نصرته، وحماية المسلمين الذين بدأت دولهم تتساقط في أيدي العدو النصراني.
- 2- نالت بلاد المغرب النصيب الأكبر من الهجرات الأندلسية إليها وخاصة إفريقية.
- 3- لم تقتصر أسباب الهجرة الأندلسية إلى إفريقية على جانب واحد من الجوانب الحضارية بل شملت جميع الجوانب الحضارية السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية والعمرانية والفنية.
- 4- انتشار الفوضى والتأمر والغدر والتفسخ الاجتماعي وتحويل المساجد إلى كنائس، وفقد الكثير من العلماء، والفقهاء والقضاة لوظائفهم، لذلك جميعاً اتجه المهاجرون الأندلسيون إلى إفريقية لإشباع جميع احتياجاتهم ورغباتهم.

- 5- اتجه المهاجرون الأندلسيون إلى إفريقية للاستقرار والازدهار والهدوء التي تتمتع به على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى الصلات القديمة التي كانت تربط حكامها مع أهل الأندلس، بالإضافة إلى المعاملة الحسنة التي حضبوا بها خلال قدومهم إلى إفريقية مهاجرين.
- 6- برزت تونس كمدينة سياسية مهمة وازداد عدد سكانها، وعمرانها، وتنوعت مراكزها، ومبانيها العمرانية، والمعمارية، وكذلك مدينة طرابلس الغرب التي شهدت تأسيس أقدم، وأهم مدرسة عرفها العهد الحفصي، وهي المدرسة المستنصرية.
- 7- ساهم الأندلسيون في بروز العديد من التأثيرات الأندلسية في العمارة، والأنشطة الاجتماعية المختلفة على الطراز الأندلسي.
- 8- كان للزوايا، والمدارس بإفريقية دور كبير في تقديم الخدمات والمساعدات للمهاجرين الأندلسيين.
- 9- كان للهجرات الأندلسية تأثيرات اجتماعية في تعدد وتنوع عناصر المجتمع بإفريقية، وترتيب طبقاته وزيادة السكان والعمران وذلك لاحتواء الهجرات على أعداد من أهل الذمة والنصارى واليهود، والعرب المسلمين.
- 10- نقل المهاجرون الأندلسيون إلى إفريقية عادات وتقاليدهم وأعراف جديدة في الاحتفالات بالأعياد، والمناسبات الدينية، والأكل والشرب، والمسكن، والطباع، ووسائل التسلية، والبذخ لم تشهدها إفريقية من قبل.
- 11- تقوية أواصر الروابط العائلية بين الأندلسيين وسكان إفريقية بالمصاهرة والنسب والجوار، وإن كان ذلك لم يكن بصورة كبيرة جداً.
- 12- رغم التأثيرات الاجتماعية الكبيرة للمهاجرين الأندلسيين إلى إفريقية إلا أنهم جلبوا معهم بعض العادات السيئة مثل: الدسائس، والمؤامرات بين رجال السياسة بالإضافة إلى مركب الغرور، والتعالي على اعتبار أنهم أرقى وأشرف، وأنبل من سكان إفريقية جميعاً، بالإضافة إلى الأمراض الاجتماعية التي كانت منتشرة في بلاد الأندلس، فنقلوها معهم إلى إفريقية.
- 13- أسهمت الهجرات الأندلسية بنصيب وافر في تطور المؤسسات الاجتماعية، وذلك بما اضافوه إليها من تقنيات وأساليب جديدة وذلك بتطوير الرباطات والزوايا والمدارس والقناطر والقصور والفنادق والمستشفيات والمدن، والحمامات والمواجل، وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى.
- 14- وخلاصة القول إن الهجرات الأندلسية إلى إفريقية قد أسهمت برقي حضاري كبير خلال القرن السابع والثامن الهجري/الثالث والرابع عشر الميلادي، وذلك بانصهار هذه الهجرات الوافدة من الأندلس إلى إفريقية مع سكان إفريقية المحليين وتراثهم وثقافتهم.

## قائمة المصادر والمراجع المستخدمة:

- 1- البكري، أبو عبيد: (ت487/هـ/1094م) كتاب المسالك والممالك، حققه وقدم له وفهرسة: أدريان فان ليوفن وأندرى فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقق والدراسات، بيروت-لبنان، 1992م، ج2.
- 2- التجاني، أبو محمد عبد الله بن أحمد: (ت717/هـ/1317م) الرحلة دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس - الجماهيرية (د ت).
- 3- الحميري، محمد عبد المنعم: (ت727/هـ/1326م) الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي مع فهارس شاملة، حققه، إحسان عباس، مكتبة لبنان، (د ت).
- 4- ابن خلدون، عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1413هـ/1992م، ج6.
- 5- الدباغ، عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله: (ت696/هـ/1296م) معالم الإيمان في معرفة أهبل القيروان، تحقيق: محمد المجذوب، المكتبة العتيقة، تونس، 1993م، ج4.
- 6- ابن الشماخ، أبو عبدالله محمد بن أحمد: (حيًا حتى 681/هـ/1282م) الأدلة النورانية في الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1984م.
- 7- عبدالوهاب، حسن حسني: خلاصة تاريخ تونس، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة تقديم وتحقيق: حمادي الساطي، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001م.
- 8- العياشي، أبوسالم عبدالله بن محمد: (ت1037/هـ/1627م) رحلة العياشي: تحقيق سعد زغلول عبدالحميد، منشأة دار المعارف، الإسكندرية، 1998م.
- 9- الغبريني، أبو العباس: أحمد بن عبدالله (ت714/هـ/1314م) عنوان الدراية في أعيان المائة السابعة بيجاية، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.
- 10- القلقشندي، أبو العباس أحمد: (ت821/هـ/1418م) صبح الأعشاء في صناعة الإنشاء نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ج5.
- 11- ابن القنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن: (ت809/هـ/1406م) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد النيفر، عبدالمجيد التركي، تونس، 1968م.
- 12- المراكشي، عبدالواحد: (ت669/هـ/1296م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ/1994م.
- 13- ابن مريم، أبو عبدالله محمد بن محمد الشريف التلمساني (1908) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، طبع في المطابع التعليمية لصاحبها: أحمد بن مرد التركي.

- 14- المقري، التلمساني أحمد بن محمد: (ت1011هـ/1631م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، 1988م، ج1-2-5.
- 15- الوزان، حسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (1983) وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ج2.
- 16- بعيزيق، صالح (2006) بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس.
- 17- حسن، محمد (1999) المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الاجتماعية، تونس، ج2.
- 18- الرجبي، نزيهة أبو القاسم (2009) الهجرات الأندلسية وأثرها على منطقتي تونس وليبيا في الفترة من نهاية القرن الثالث عشر الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، الجماهيرية.
- 19- الزاوي، الطاهر (1968) معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس - ليبيا.
- 20- أبوسدرية، خديجة عبدالله (2010): الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرائية والثقافية في المغرب الأدنى خلال العهد الحفصي (603-932هـ/1207-1526م) جامعة السابع من أبريل، الزاوية، الجماهيرية.
- 21- سعدوني، ناصر (2003) مظاهر التأثير والتأثر الإيبيري والوجود الأندلسي، دراسات اندلسية، دار الغرب الإسلامي.
- 22- عامر، أحمد (د - ت) الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، دار الكتب الشرقية، تونس.
- 23- عبدالله، أحمد مسعود (2007) التواصل العلمي بين طرابلس وتونس في العهد الحفصي (625-837هـ/1227-1433م) منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، الجماهيرية.
- 24- عبدالوهاب حسن حسني (1971) ورقات من الحضارة العربية الإفريقية، جمع وإشراف: محمد العروسي المطوي، مكتبة المنار، تونس، ج3.
- 25- عبدالوهاب، حسن حسني (1995) شهيرات التونسيات، مكتبة المنار، تونس، ط3.
- 26- عزوز، منى السيد عبد العزيز (1986) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الحفصية: (626-935هـ/1226-1535م) رسالة دكتوراه معهد الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.
- 27- الغنيمي (1994) الموسوعة المغرب العربي. - مكتبة مذبولي: القاهرة، ج5.
- 28- كرير، علي أحمد علي (2013) المهاجرون الأندلسيون وتأثيراتهم على بلاد المغربين الأدنى والأوسط خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، (13-14م) الزاوية-ليبيا.

- 29- محفوظ، محمد(1982) تراجم المؤلفين التونسيين. - بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج1.
- 30- أبو مصطفى، كمال السيد(1997) جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريي.  
- مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية.
- 31- برنشفيك، رويار(1988) تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية ال قرن15م؛  
نقله إلى العربية حمادي الساحلي. - دار الغرب الإسلامي، ج1-2.
- 32- أبو رأس، علي محمد إبراهيم (1995) لمحات عن الثقافة في ليبيا خلال القرنين التاسع والعاشر  
الهجريين ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي. - كلية الدعوة الإسلامية: طرابلس.
- 33- رزوق، محمد (1986) الجالية الأندلسية بالمغرب العربي. - المناهل وزارة الشؤون الثقافية: الرباط،  
ع34، س13.
- 34- رفيدة إبراهيم (1995) لمحات من الحياة الثقافية في ليبيا خلال القرنين 9-10م.-ندوة التواصل  
العربي الإفريقي. - منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس-ليبيا.
- 35- سعدوني، ناصر(1964). "صورة من الهجرة الأندلسية للجزائر". - المجلة العربية للثقافة، ع27.
- 36- الطالب، محمد (1975). "الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين". - مجلة الأصالة، ع26.
- 37- الميزوري، العروسي(1996). "الهجرة الأندلسية للقطر التونسي". - مجلة الهداية، ع2.
- 38- أندريه، شارل جوليان (1983) تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزالي، بشير بن سلامة، الدار  
التونسية للنشر، ج2.